

## الانكليز ومهاجرهم

من مقالة للشريف ارل (١) ميث

السياحة لا تقتصر على ترويح النفس وتقوية البدن بل تمكن السائح من مقابلة البلدان التي يسوح فيها ببلاده حتى يرى ما هي متقدمة فيه على بلاده وما هي متأخرة فيه عنها وفي ذلك فوائد جمة اذا اقدم السائح عليه عن روية وحسن طوية . وقد سحنت في الولايات المتحدة الاميركية اربع نوبات فدخلتها اول مرة سنة ١٨٦٤ وعدت الآن من سياحة حول الكرة الارضية بعد ان زرت استراليا وزيلندا الجديدة والولايات المتحدة ومرادي ان اذكر ما رايت في هذه البلدان مما فاق به سكانها اهل وطنهم الاصلي ويحسن الاقتداء بهم فيه غير متوخ اشباع الكلام على كل موضوع ولا تدقيق البحث فيه بل مقتصرًا على ما يراه السائح ويشعر به . وقد قسمت الكلام الى تسعة فصول وهي الحكومة . والجرائد . وسكك الحديد . والكهربائية . والمركبات . والمتزهات . والنادق . ورجال الشحنة والمطافئ . والمعيشة والاخلاق

## الحكومة

الحكومة في هذه البلدان جمهورية قلبًا وقالبًا لا مثل الجمهوريات الاوروبية التي عنانها بيد الحكام لا بيد الجمهور . فان الشعب الانكليزي هو الحاكم على نفسه في اميركا وكندا واستراليا وهو الحاكم على نفسه في بريطانيا نفسها . والفرق بينها ان بريطانيا ومستعمراتها جمهورية في صيغة الملكية واميركا ملكية انتقائية في صيغة الجمهورية لان سلطة الرئيس في اميركا اوسع من سلطة ملكة الانكليز . واذا اراد الشعب شيئًا في بلاد الانكليز وفي اميركا فنواب الانكليز اسرع اجابة لمطالب شعبهم من نواب الاميركيين لمطالب شعبهم لان الرئيس في اميركا والوزراء لا يعزلون مدة اربع سنوات فيمكنون البلاد حسب مشيئتهم اراد ذلك النواب او لم يريدوا

والحرية مطلقة في بريطانيا ومستعمراتها اكثر منها في اميركا فتري في ستزعات لندن جماعات من الشعب كل جماعة منهم تنكلم وتخطب في مواضع سياسية واجتماعية ودينية مخالفة لرأي الجمهور ولرأي الحكومة ولا رادع ولا مواخذ بشرط ان يعلم اليوليس ذلك ويتبع ما يعنى سبيل المارّة وما يحل بالنظام . اما في اميركا فلا يباح شيء

(١) الارل لقب شرف عند الانكليز يقابل لقب الكونت عند الفرنسيين

من هذا بل اذا تجاسر احد وقطف ورقة من اوراق النبات في المنزه العمومي  
 بنيويورك عرض نفسه للغرامة والحبس . وقد مثبت مرة في سكة المركبات فكاد  
 البوليس يقبض علي ويودعني السجن . ورجال الشرطة يسرون في الشوارع وعصيم  
 في ايديهم يلعبون بها ويحبسون انفسهم اسياداً وبقية الناس خدماً لهم . ولا يجوز  
 للاشتراكين ان يرفضوا علم في شيكاغو ولا ان يجلسوا في فيلادلفيا ولو في بيوتهم  
 واكثر الفرق بين بريطانيا ومهاجرها مالي لا سياسي فان ارض المهاجر كثيرة  
 الخبرات والناس فيها يرجون ارباحاً طائلة تزيد على ثقتهم فيذخرون جانباً منها  
 لتيجورختم ولذلك ترام في بطة من العيش . واحسن العمال زيلندا الجديدة  
 فان حكومتها ساعية في القبض على كل موارد الثروة وتقسيم الاعمال على الناس بالسواء  
 حتى لا يبقى بينهم غني وقبر . وهذه هي منية الاشتراكين

ونظام الانتخاب في اميركا يحرم اكثر الاغنياء والوجهاء من اللطة ويتبع بها بعض  
 الصعاليك لا لان رجال الحكومة في اميركا كلهم من هذا القبيل بل لان كثيرين منهم  
 لا يستحقون ان ينتخبوا ولا ان يتخروا

والشعب ينتخب قضاة في اميركا فاول ذلك احياناً الى فساد القضاء وقلة ثقة  
 الناس به حتى لقد يتصرفون لانفسهم من خصومهم بلا مراعاة كما حدث في مسألة  
 الايطالين الذين قام عليهم الاميركيون وقتلهم . وقد ادعى البعض ان الشرطة تعجز  
 حينئذ عن مقاومة الجمع ولكن هذه الدعوى باطلة لانه اذا كان الجمع من السود  
 وقد تسلحوا الانتقام من رجل ايض قتل واحداً منهم لم يعجز الشرطة عن تريقهم .  
 وكثيراً ما يؤخذ البريء بجريرة الاثيم كما ترى في هذه الحادثة وهي منقولة عن  
 اشهر الجرائد الاميركية قالت ان رجلاً اسمه كبرو كوبي الاصل كاد الجمع يقتله  
 اس في المحكمة لجرمته اقرها غيره وذلك ان رجلاً اعتدى على ابنة فظن الجمع ان  
 كبرو هذا هو الذي اعتدى عليها قبضوا عليه واستاقوه الى المحكمة والقاضي فيها كوبي  
 الاصل ايضاً . فاستنطقه وحكم ببراءته فحسب الجمع انه بريء لانه من ابناء جنسه  
 فاثقوه بجبل وكادوا يخنقونه لكن جاء رجل وقطع الحبل وانقذه منهم فالتجأ الى دار  
 المحكمة فبعده الجمع وربطوا الحبل حول عنقه ثانية وكادوا يخنقونه فلما رأى انه مقتول  
 لا عمالة اعترف باسم الذي اعتدى على الناة فنقض القاضي حكمة الاول ووضع كبرو  
 في السجن وبلغ الممتدي ذلك فلم ير له مناصاً فعمد الى الانتحار وطعن نفسه بخنجر في

صدره واقراً بما جنت بدهاء قبل ان يسلم الروح فعاد القاضي ويراً كبيراً  
ومن الغريب اني لم انا ان جرائد اميركا اهتمت بهذه الحادثة اقل اهتمام مع انها  
لوحثت في اوربا لجلعتها جرائد اوربا موضوعاً للثليل والقال لما فيها من الاحانة  
لشرف القضاء ولشرف الحكومة . ويقتل الاميركيون من السود نحو مائة نفس كل  
سنة بغير محاكمة حتى اضطرّ السود سكان اميركا ان يجتمعوا ويسترحموا من الحكومة  
ان تسنّ قانوناً يجبر كل ولاية على محاكمة الجمع الذي يعتدي عليهم لان بعض الولايات  
لا يعاقب الجمع فوعدهم رئيس الولايات المتحدة ان ينظر في طلبهم ويسعى في انالتم سوءهم  
الجرائد

الجرائد السياسية في اميركا لا تقابل بجرائد انكلترا لانها مشحونة بوصف الجرائم  
والحوادث المكدره وليس فيها شيء من المثالات السياسية والتجارية والادبية التي تكون  
عادة في الجرائد الاوربية وكثيراً ما تكون مشحونة بالسفاسف ولا سيما في الولايات  
الغريبة من اميركا . الا ان المجلات العلمية والادبية والدينية في اميركا من الطراز الاول  
وتمتاز على المجلات الاوربية في جودة ورقها وحسن طبعتها واتقان صورها . والجرائد اليومية  
في استراليا وزيلندا الجديدة احسن من الجرائد اليومية في اميركا واتزه منها عبارة  
مكك الحديد

وسائط السفر في اميركا بالغة غاية الانتظام ولا سيما في الانتقال من قطر الى آخر .  
والمركبات نفسها كالتصور المشيدة في فحاشتها وبهاء اثائها ولكن ذلك خاص بالخطوط  
الكبيرة ولا يشمل الخطوط الصغيرة الفرعية لان المركبات على هذه الخطوط ليس فيها  
الا درجة واحدة والمركبة منها لاربعة راكباً فيضطرّ الراكب ان يجمل ما يرضى به  
الاربعة من الحر والبرد باقتال الكوى او فتحها وان لا يتدمر من القبار ولو ملا متافس  
الهواء . وكثيراً ما يكون المقعد قائماً على عمود صغير في وسط المركبة فيضرب دائماً حتى  
يصاب الجالس عليه بالدوار كأنه مسافر في البحر وليس له مسند يسند ظهره اليه  
فيلاقي منه مرة العذاب . وزد على ذلك ان الركاب والخدام والحراس يفتحون الابواب  
ويغلقونها على الدوام فيزعجون من فيها بصريفها . ولا يمكن وضع الصناديق تحت المقاعد  
لانها قائمة على قضبان من الحديد والرفوف صغيرة وكل رنة منها لاربعة راكب . واذا  
خرج الانسان من المركبة لم يجد من يحمل امتعته ولكن سكة الحديد تعطيه قطعة من  
المعدن وتعلق قطعة مثلها بامتعته فيطوي هذه القطعة لرجل يأخذ له الامتعة الى حيث

شاء فتصله بعد نصف ساعة او ساعة او اكثر  
ومركبات سكة الحديد تحمى بالبخار السفن في ايام البرد ولكنها تحمى فوق طاقة الانكليز  
المسافرين فيها . وفي بعضها اسرّة ينام فيها المسافرون ولكن الرجال والنساء ينامون في  
المركبة الواحدة وهذا لا يطبق على قواعد الحشمة عندنا . اما في استراليا فمركبات النوم  
مقسومة الى قسمين منفصلين واحد للرجال وواحد للنساء . والمركبات في زيلندا الجديدة  
جامعة للجنس في المركبات الاميركية والاروية  
ويقل عدد غير من خدمة سكك الحديد في اميركا كل سنة فان عددهم يبلغ  
٧٤٩٣٠١ وقد قتل منهم في السنة الماضية ٢٤٥١ نفساً واصيب ٢٢٣٩٣ نفساً باصابات  
مختلفة . والسبب الاكبر لكثرة عدد من تدوسم قطارات سكك الحديد هو قلة وجود  
الارصفة

## الكهربائية

لم تنزل بريطانيا متأخرة عن اميركا وبقية المهاجر في استعمال الكهربائية فان النور  
الكهربائي قد شاع في مدن اميركا والمستعمرات حتى الصغيرة منها فترى الشوارع والبيوت  
منارة به وسالمة من مضار الغاز . والتلفون منتشر في هذه المدن وفي القرى ايضاً  
وفي ذلك من الراحة والاقتصاد ما لا يخفى على احد  
المركبات

الانتقال في مدن اميركا وبقية المهاجر الانكليزية اسهل منه في اوربا واسرع فان  
المركبات البخارية والكهربائية قد شاعت فيها كثيراً وهي نظيفة متقنة ولذلك صار  
يندر استعمال مركبات الخيل حتى قيل عن امرأة انها دخلت مركبة يجرها فرس فالتفتت  
ولم تر آلة كهربائية ولا بخارية فقالت لمن معها ترى باية قوة جديدة تجري المركبة بنا .  
والماشي في شوارع اميركا لا يثنى بها كثيراً لقلة الذين يمشون عليها . ولكن يتنقد على  
المركبات الاميركية انها خالية من كل نظام في عدد ركايبها فاذا امتلأت المقاعد وقف  
بقية الركاب ولم يتدمروا مع انهم يكونون قد دفعوا الاجرة مثل الجالسين على المقاعد .  
فلو حدث ذلك في بريطانيا للآلات جلبة الجرائد الآفاق برسائل التدمرين لما في ذلك  
من التعب على الركاب ولا سيما اذا كانوا نساء او شيوخاً  
المتزهات

المتزهات العمومية في استراليا ليس اجمل منها في المسكونة والمتزهات العمومية

في اميركا اكبر منها وانعم الا ان منزهات بريطانيا يتردد عليها الناس اكثر  
 بما يترددون على منزهات اميركا ولا سيما في غير ايام الاحاد. وليس في اميركا منزه  
 يقابل بحراج وندسور والنج لكن لس في بريطانيا ماش طول الواحد منها خمسة اميال  
 وصفوف الاشجار على جانيه كما في كثير من مدن اميركا. وفي بعض المنزهات  
 الاميركية اماكن تسرح فيها الحيوانات البرية بلا معارض كانتها في البراري والآجام  
 ويحيط بهذه الاماكن حواجز مئنة تمنع خروج هذه الحيوانات منها. ولا تنفق كثيراً في  
 منزهاتنا على الاقفاص الكبيرة لتربية الطيور والاماكن لتناول الشبشات والمواقف  
 ضاع الموسيقى والمقاعد لجلوس الناس كما ينفق الاميركيون على ذلك وعلى كل ما يؤول  
 الى راحة الناس في المنزهات وتسلتهم

### النادق

فنادق الولايات المتحدة احسن من فنادق بريطانيا ما عدا فنادق لندن وبعض المدن  
 الكبيرة. واكثرها منار بالتور الكهربائي وفيها آلات لرفع الناس من طبقة الى اخرى  
 وغرفها مزخرفة فاخرة الفرش. وكثيراً ما يكون بجانب غرفة النوم حمام للاغتسال.  
 والاجور محددة غالباً وهي من اربعة ريبالات الى خمسة في اليوم عن كل نفس. والغالب  
 ان في كل فندق من الفنادق الكبيرة تلفون واماكن لبيع الكتب والجرائد.  
 وفنادق استراليا وكندا تشبه فنادق اميركا واما فنادق زيلندا الجديدة فتشبه فنادق  
 المدن الصغيرة في انكلترا اي انه يعتنى فيها بالسياح اكثر مما يعتنى بهم في فنادق اميركا  
 ولكها خالية من ضروب الابهة. وفي كل فندق من الفنادق الاميركية رجل اسود  
 لمسح الاحذية فاذا غاب اضطر كل واحد ان يمسح حذاءه يده لان الخدّام الاميركيين  
 لا يتنازلون الى مسح حذاء غيرهم. وقد بلغني ان سائحاً انكليزياً سمع ان الاعمال غلت  
 في اميركا واسى العمال في ضيقة شديدة ورأى فريقاً منهم واقفاً بجانب حائط فدفع  
 ريبالين الى من يمسح له حذاءه منهم فنظروا اليه شزراً ولم يجيبوه بكلمة. وعليه ان يعد  
 نفسه سعيداً لانهم لم يمزقوا الخدّام

ويحمي الاميركيون فنادقهم بالبخار كما يحمون مركباتهم حتى تبلغ حرارتها درجة لا  
 يطيقها الانكليز. والاسرة تطوى في بعض الفنادق فتتصب بجانب الحائط كانتها خزائن  
 او موائد فتتمسح الحجر بذلك. ويوضع في الحجر جرس كهربائي لا يقاط النائم في الساعة  
 التي يريدونها فاذا اخذ بندق لم يكف عن الدق حتى يقوم النائم من سريره ويوقظه يده.

وهو اسلوب حسن للذين يستيقظون اذا ايقظتهم ثم يتحطون وينامون ثانية . وفي سقف  
الحجرة كرة فيها زئبق حتى اذا اضطربت النار فيها تمدد البخار واوصل بجري كهربائياً  
فندق جرس كبير في وسط الفندق معنناً اضطراب النار في تلك الحجرة فيبادر المظنون  
الى اطفائها . ورايت في فندق نيويورك آلة كالساعة مكتوب على دائرها كل ما يحتاج  
اليه الانسان وهو في الفندق كلامه والنور والقهوة وما اشبهه . فاذا ادت العترة  
ووضعت على شيء تريده وصل اخبر بالكهربائية الى دار المدير واناك الخادم بالشيء  
الذي تريده حالاً كأن غلاء الاعمال في اميركا ربي في الاميركيين ملكة الاختراع  
حتى يستعضوا بالآلات عن اعمال الانسان . ولكم اخترعوا اختراعاً لا احب ان  
يشيع في فنادتنا وهو السكن المفضض النصل فانه لا يقطع اللحم وقت الاكل فيضطر  
الاكل ان يجهد قوته او يترك اكل اللحم او ياكله قطعاً كبيرة تخنقه . والاميركيون  
يفضلونه على غيره لانه لا يحتاج الى التنظيف وما هذه الفائدة سوى مضرة لدى  
الذين ياكلون به .

## رجال الشحنة والمطافئ

في مدن اميركا الكبيرة نظام حسن للشحنة (البوليس) يحسن اتباعه في غيرها من  
البلدان فان في الشوارع فتاديل قائمة وفي كل فتديل منها خزانة مغلقة مع كل رجل من  
رجال البوليس مفتاح يقفها وفيها تليفون متصل بدار عموم البوليس . وفي كل مركز  
البوليس مركبات لاطفاء النار وخيوها بجانبها ومركبات لجلب الجرحى فيها رجال تعلموا  
ما يلزم عمله للجريح . فاذا بلغ احد رجال البوليس ان النار شبت في مكان فليس عليه  
الا ان يادر الى اقرب فتديل ويفتحه ويخاطب مركز البوليس وفي اقل من اثني عشرة  
ثانية تخرج مركبة الاطفاء وتسرع الى اطفاء النار

واذا وقع احد او اصاب بعارض بادر احد رجال البوليس الى التليفون واخبر  
مركز البوليس بذلك فتأتيه حالاً مركبة تحمل الجريح . واذا رأى احد الجناة وعجز  
عن القبض عليه وحده بادر الى التليفون الذي بجانبه واخبر مركز البوليس فأتية عدد  
كاف من رجال البوليس للقبض عليه وهلم جراً

ويمكن لديوان عموم البوليس ان يخاطب مع كل رجل من رجاله المتفرقين في  
احياء المدينة وذلك بان بلغت البوليس من وقت الى آخر الى الفتديل الذي بجانبه  
فاذا رأى علامة حمراء ظاهرة منه علم ان ديوان العموم يريد مخاطبته فيفتح الصندوق

ويسمع ما يقال له وهذه العلامة الحمراء تُبدل في الليل بكرة حمراء من زجاج تحيط بالنور فيعلم البوليس ان العموم يريد مخاطبته .  
 واذا سطا لص على احد البيوت او المخازن او ارتكب احد جنابة أخرى وفر هارباً ودرى به رجل واحد من رجال البوليس أرسلت اوصافه الى كل رجل من رجال البوليس في بضع دقائق فلا يخرج من المدينة قبل ان يقبض عليه .  
 المعيشة والاخلاق

لقد كتب الكتاب كثيراً عن احوال السكان في استراليا واميركا حتى صار الكلام في ذلك من باب تحصيل الحاصل . ويصعب علينا الحكم فيما اذا كان العمال اصح حالاً في اميركا منهم في استراليا فان العامل هو المتسلط في هاتين البلادين ولولم ينازع في سلطته في استراليا كما ينازع في اميركا . ولكنه مستبد في زيلندا الجديدة أكثر مما في كل المستعمرات والفرق هناك بين الغني والفقير قليل جداً بل يرى السائح كان لا غنى في البلاد حتى يصح ان يقال ان زيلندا الجديدة فردوس العمال لانهم في بسطة من العيش واجرة الواحد منهم في اليوم من اربعين الى خمسين غرشاً . والفقير اما هو المالك الذي اكلت الارانب مزروعاته وبات على شفا الافلاس او الكاتب الذي يضطر ان ينفق النفقات الكثيرة على طعامه ولباسه ويشغل أكثر من العامل الذي جعل ساعات العمل ثماني فقط

والحكومة في زيلندا الجديدة بيد العمال لانهم هم المنتخبون . وفي اول مرة خرجت ازمة الاحكام من يد العظماء والاوساط وسلت للعمال فعسى ان يقلعوا فيها وينجحوا في تدبير شؤون البلاد التي يحتاج تدبيرها الى الرأي أكثر مما يحتاج الى الشجاعة .  
 اما في اميركا فالغنى وافر والفقير مدقع وكلاهما في ازدياد . وقد اغنى كثيرون من الاميركيين بسرعة فائقة وكثيرون استعملوا وسائل غير محملة لاكتساب الغنى ولذلك فلما يكره الاغنياء هناك بل كثيراً ما يكرهون كراهة شديدة وقد تملك خلق الاستقلال والعنفوان من الاميركيين حتى صار احداثهم لا يحترمون الشيوخ ولا الشعائر الدينية . واكثر اللوم في ذلك على الوالدين الذين يتزعون كرامتهم بايديهم اخبرني احد خدمة الدين وهو من الشيوخ الذين جاوزوا الثمانين وله مقام عظيم في زيلندا الجديدة لانه كان اول من اسس المدينة التي هو فيها قال ان فتاة عمرها خمس عشرة سنة تشكت منه علانية لانه راها في السوق ولم يرفع لها برنيطة

ولا يتدران ترى الاولاد جلوساً في المركبات البخارية والرجال والنساء وقوف بجانبهم . وترى البنات الصغيرات في فنادق الاميركيين بالخلي والحلل من الخواتم والاساور والفلاند والاقراط يمشين كأنهن فتيات كاعبات واذا جلسن حول مائدة الطعام يتكلمن مع الخدم بالامر والنهي كأنهن امهاتهن . ولم تتنفس كربتي حتى عدت الى الوطن ورأيت اولادنا لابسين لبس الاولاد وسالكين سلوك الاولاد ومعاملين معاملة الاولاد . واذا اطلت عليهم من كوة بيتك رايتهم يلعبون لعب الاولاد في الخنول والمروج ويتبع بعضهم بعضاً بصوت الفرح والابتعاج

ولقد اصاب احد الكتّاب اذ قال ان السلطة في اميركا للمستخدم فانك كيف التفت ترى المستخدمين يعاملونك معاملة الرئيس للرووس حتى مستخدم البريد الذي يناولك التحرير ينظر اليك نظر المتفضل . وقد رأيت مرة رجلاً من مستخدمي سكة الحديد دفع احدى السيدات يده ولما التفتت اليه مذعورة طلب منها تذكرة السفر بالاشارة ولم يتنازل الى الاعتذار ولا الى الكلام . وكثيراً ما كان المستخدم منعم ياخذ مني التذكرة ويراهم يضعها في برنيطي بين الشريط والبلد كأنه يستقل ان تصل يده الى يدي . واذا طلبت من خادم شيئاً لم يجيبك سلباً ولا ايجاباً فلا تعلم فم ما تقول او لم يفهم . وكمرت الطلب مرة على خادم فقال لي اذا كمرت طلبك مرة اخرى لم آتلك بشيء

ولكن الاسيركيين واحالي المهاجر عموماً متصفون بكرم الضيافة وهم افضل منا كثيراً في ذلك . فحيثما توجه البريطاني وجد من كرم الضيافة عند المتكلمين باللغة الانكليزية ما ينسبه الاهل والخلان ولم يعامل معاملة الغريب بل معاملة القريب المواطن الذي يستحق الضيافة بحق القرابة . فعسى ان لا يرى منه الاكل ما هو جدير بالاكرام الذي يكرم به

وقد رايت ان كل ابناء المهاجر البريطانية يحنون الى وطن اجدادهم ويشعرون كأنهم مرتبطون به بروابط متينة وسيظهر حينئذ هذا اذا حدث حادث عظيم دعا اليه . وان لمن اعظم ما اسر به ان لي في تلك المهاجر البعيدة التي عمرها الشعب البريطاني اناماً من اعز الاصدقاء واخلصهم وان احالي تلك المهاجر سيكون لم شأن عظيم في مستقبل الايام وتاريخ العمران

